

الاسلام في فارس

للأديب حسن حبشي

—>>><<<—

لعل أبلغ معجزة للاسلام هي تلك السرعة التي ورسم بها انتشاره في رجايب المعمورة ، حتى لقد خفق لوائه في مدي قرن من الزمان على كثير من بلدان آسيا وإفريقية ، وتغلقت شريسته وجهه والايان به في نفوس قوم درجوا على الشرك ، وكانوا لا يألون جهداً — هم وأسلافهم من قبل — في صد كل عادية عنه . ومن مظاهر هذه المعجزة إسلام التتر بعد أن كاد الاسلام أن يختصر من خطبهم وتدميرهم ، فلقد كانوا « المصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقارنها ولا ما يندانيها »^(١) « فإنا هم — بعد اعتناقهم إياه — من أكبر الدائين عن حياته ، للدافين عن بيضته . ويذهب السير توماس أرنولد في تمليله لهذا الانتشار والسبق الذي اختص به الاسلام دون غيره إلى ما اتسمت به العقيدة الاسلامية من بساطة لا تمتد فيها ، وإلى وحدانية الله ، وإلى أن محمد عبده ورسوله »^(٢)

لقد درج الاسلام في بلاد الحجاز ، ثم ما لبث أن اتسعت رقته وامتدت فتوحه شرقاً وغرباً فأصبحت العراق وفارس ومصر والشام وفلسطين وبلاد الخزر وإفريقية والنوبة والهند إمارات إسلامية قد انتقلت من الشرك والاضطهاد والظنوب الفكرى إلى وحدانية مشرقة ، وهدل أظل الجميع بضيئه ، ونهضة اجتماعية وذهنية غيرت معالم الحياة بأسرها . ولا غرو فالاسلام في جوهره دين عقلى بأوسع ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى^(٣) وتاريخ الاسلام في مبدئه هو تاريخ تلك الأقطار المفتوحة ، وحسبنا في هذا البحث الموجز أن نرى مدى انتشاره في إيران وإن ذهب أهلها شيعاً وتباينوا عقائد

ويرتبط تاريخ إيران الاسلامية أيما ارتباط بهذه الجماعات التي كانت تفد عليها متاجرة أو مهاجرة من جهة ، ومن جهة أخرى بتاريخ الملوك والخانات الذين كان لبعضهم فضل الجهاد في سبيل نشر الدين ، وإن وجدوا في كثير من الأحيان إقبالاً من الشعب نفسه يرجع في جرتومه إلى أسباب عدة ليس هذا مجال بحثها . كما أن بعض القواد لم يدخر وسماً في سبيل نشر الاسلام فكان ابن القاسم فاتح بلاد الهند داعية من دعائه ، وأحد الحريصين على بث مبادئه العاملين على بسط نفوذه ، فلقد عرض على أمراء الهند اعتناقه^(٤) ، ولم يكن الطمع في الثغمة فحسب هو المنافع للجنود العرب المسلمين على الاستيسال والاستبانة في هذه الفتوح العظيمة^(٥) ؛ تلك الروح التي تتمثل في قول خالد ابن الوليد حين لاقاه أهل الحيرة فقال لهم « أدعوكم إلى الاسلام فان أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، وإن أبيتهم فأعطوا الجزية ، فان أبيتهم فقد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة »^(٦)

لقد كان فتح العرب لبلاد فارس حادثاً جديداً في تاريخ الاسلام من الناحيتين العسكرية والاجتماعية ، كما كان له أثره القوي فيما بعد . في الناحية السياسية والدينية لما ظهر عند أهله من هوى عنيف للمذهب الشيعى ، وإن أرجع بعض المستشرقين هذا الميل إلى زواج الحسين بن على « ببناء بانو » إحدى بنات يزجورد الثالث آخر ملوك آل ساسان ، ومن زعماء هذا الرأي الأستاذ جولك تسهر .

دخل المسلمون هذه البلاد الغربية عنهم في حضارتها وتاريخها ونظمها السياسية وتفكيرها ، فكان تمت احتكاك تولدت عنه نزعات جديدة في كل هذه الأمور ، ولبيت المصيبة القومية دوراً خطيراً على مسرح الحياة العامة فكانت دعامة الدعائم في قيام الدولة الساسانية التي اتخذت طابعها في بلاد ينزع أهلها إلى تأييدها^(٧)

(١) Wiot : Hist. of India. Vol I P. 175

(٢) H. A. R. Gibb : The Arab Conquests in Central Asia

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج (مصر ١٣٠٢ هـ) ص ٨٤

(٤) Cf : Le Strange : Bagdad under the Abbasid Caliphate

ch I. pp. 1—b.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (طبعة مصر سنة ١٣٠١ هـ) ج ١٢

ص ١٦٤ - ١٦٥

(٢) Sir Thomas Arnold : Preaching of Islam (Luzac 1935. P. 413.

(٣) E. Montet : La propagande chrétienne et ses adversaires musulmans (Paris 1890) P. 17

والدين الجديد في هذه النواحي^(١). وخرض دوزي من ذلك الطعن في إسلام الجماعة الأولى من أهل فارس، وتجاهل هذه الروح الكريمة التي امتاز بها الإسلام، ولتلي لا زال ينزويها القلوب حتى في عصر السادة فلا كبرياء ولا أرسنقراطية مستهجنة^(٢)»

لم يقتصر فضل الإسلام على الناحية السياسية وانتشال البلاد من التدهور الاجتماعي، بل تمداها إلى الناحية الدينية بين القوم وغيرهم من أهل الكتاب من النصارى واليهود، فعامل الجميع معاملة حبيبت الجماعة فيه، ولم يرغمهم على التصديق به والايان برسائله وإنما حاجهم فان أبوا فليس إلا الجزية، إذ هي واجبة على جميع أهل الدمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة^(٣)»

ولم تكن هذه الجزية دينية بحتة، وإنما كانت كذلك للقيام بالمحافظة على دافعها وضمان سلامتهم، في ظل هذا النظام الجديد الذي لم يألوه من قبل أيام دولة الأكرسة التي استبدت وبطشت بالمسيحيين وعصفت بهم ولم تحترم شعورهم، بل كانت شديدة الوحشية عليهم فلاق من عندها اليمقويون والذسطوريون ألواناً من العذاب والتنكيل واضطربت أمورهم في أيامها. أما المجوس فقد اكتفى العرب منهم بالجزية، فلقد قال أبو يوسف^(٤) إنه « ذكر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قوم يعبدون النار ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا أهل كتاب (يعنى المجوس) فقال عمر ما أدري ما أستمع بهؤلاء؟ فقال عبد الرحمن بن عوف فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وذكر أنه « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن

كانت بلاد الفرس وقت أن دخلها العرب مللاً متباينة، ونحلاً مختلفة متنازعة، فهناك الصابئة والمجوس وأتباع ماني وزرادشت، وهناك أهل الكتاب من يهود ونصارى، فكان القوم بين مشرك ووثني وموحد ومثلث، فلم يكن الاضطراب سياسياً فحسب، بل كان دينياً كذلك. فوجد العرب هذه البلاد على حال من الفوضى السياسية والاجتماعية والدينية، فكان العبء عليهم ثقيلاً، وكانت التركة بين أيديهم تتطلب منهم سياسة حكيمة ماهرة، حتى يستطيعوا أن يهيئوها لعدوهم على الأوس، ويجمعوا من أهلها دعاة للحنيفية السمحاء.

لقد حمرت القرون تنري والقوم مقيمون على الشرك وعبادة النار والنجوم، فأهل الإسلام عليهم بنوره حتى تسارعوا زماً لاعتناقه والدفاع عنه، فكان أئمة الدين وجلة علمائه من أهل فارس حتى لقد لاحظ ذلك ابن خلدون فقال: « من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم المعجم، لا من العلوم الشرعية، ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر وإن كان منهم العربي في نسبه فهو مجع في لفته ومرباه ومشيجته مع أن الملة عربية وصاحب شربتها عربي^(١) » وكان أشد المدافعين عن الدين وعن العرب من رجال الفرس حتى في الأوقات التي ظهرت فيها العصية القومية بأجل مغانها، وفي الوقت الذي أطلت فيه الشعوبية زعم ما تزعم من جحود ونكران للواقع، وكان هذا الميل القوي للإسلام لم يرق في نظر البعض فذهب Dozy إلى أن مرجع اعتناق الفرس للإسلام أنهم ألقوا في القرآن الأركان الأساسية لديانهم القديمة وإن اختلفت قليلاً، فلم يكن من المسير على الفارسي أن يقبل على عبادة امرمزدا واهرمزبان إلى الخير والشر حيث استترا وراء كلمتي الله وإبليس في الديانة الجديدة، كما يقول إن الإسلام انفق والوثنية الفارسية القديمة في القول بخلق الانسان ووجود الملائكة والبمتم يوم القيامة وعودة الروح والجسم ثانية وفي فكرة الجحيم والجنة، فالتقت العقيدة القديمة

(١) Dozy : Essai sur l'hist de l'islamisme (Lyden) P. 156.

(٢) راجع في الفخر (طبعة مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ) ص ٧٣ -

٧٤ قصة ورود نبأ انتصار العرب في فتح فارس إلى عمر بن الخطاب فقها

أبلغ الدلالة على الديمقراطية العربية

(٣) أبو يوسف : نفس المرجع ص ٦٩

(٤) أبو يوسف الخراج ص ٧٤

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة المطبعة الهية بمصر) ص ٤٩٩

ساوي أن من سلب سلطنا واستقبل قتلنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله فمن أحب ذلك من الجوس فهو آمن ومن أبى فعليه الجزية (١) »

يقول الأمير كيتاني Caetani « لقد كانت الاضطراب المنوي الذي ملأ أذهان المسيحيين يسير جنباً إلى جنب مع الفوضى السياسية في الدولة ، وإذ شغلهم توالى نزول هذه الكوارث والتدهور الخلقى الذي حاق بهم من جراء هذا الصراع المنيف بين المذاهب المتنافرة الموجودة بينهم فلقد مالوا إلى هذا النمط الذهبي المجيب الذي يسهل على العقيدة الجديدة أن تتمكن فيه . ولقد كان أهل فارس — وخاصة الأجناس السامية — في نفس هذه الحال الذهنية مما جعلهم يرحبون بالثورة الإسلامية التي سرعان ما أزلت من طريقها فساد الماضي ، وساعدها على ذلك ما امتازت به العقيدة الجديدة من بساطة خالصة ، هيأت النفوس لمهد جديد فائض بالأمال وخلصت القوم من الرق » ... لقد شهد بذلك كيتاني وهو من هو في دراسته للتاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية (٢)

وكان دخول الإسلام بلاد فارس مؤذناً بمصر جديد من التحرر الفكري ، كما رأى فيه المسيحيون خلاصاً لهم — كما يقول أرنولد — من استبداد ملوك آل ساسان ، ولم يكن السلون إلى الشدة والمنف في سبيل بث مبادئ دينهم هناك ، وما كان إسلام القوم — من مجوس وصابئة ومناوية — عن طريق السيف إذ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وما كان الإسلام وهو دين العقل ليحاول أن يخرج عما رسمه من حدود النقاش. وحسبه أن يمرض للأمر من جميع نواحيه فلا يزال يدعمه بالحجة والبرهان الصادقين في منطق مستقيم حتى يأخذ به من اتبع العقل ولم يكابر في الحق . وإذا كانت هناك بثات تبشيرية فإنها لم تكن تسير على خطة دبرها البعض ، وإنما هيأتها الظروف

(١) أبو يوسف : كتاب المراج من ٢٥ — ٢٦

(٢) Sir T. Arnold : Op. cit. P.P. 207—208

والملايسات وطبيعة الحياة كما كانت مدفوعة بإيمانها الصادق. وكان أغلب هذه الجماعات التي قامت بالتبشير في فارس والهند وبلاد آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر من التجار الذين كانوا حلقة اتصال بين الوثنيين وبين الإسلام أو بين ماضٍ مشرك ومستقبل لا يقر إلا بالوحدانية (قل هو الله أحد الله الصمد) ترفع عن الماديات (لم يلد ولم يولد) وجل عن كل ما يخاله الدهن البشري القاصر عن إدراك ذاته (ولم يكن له كفواً أحد) ؛ فالعامل الأساسي في تاريخ الفتوح الإسلامية كما يقول الأستاذ جب إنما هو هذا التبادل الدائم بين أهل الأقطار المفتوحة وبين العرب (١)

حسن مبنى

H. A. R. Gibb : Op. cit. P. 4

(١)

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والاطاللي مع تراجم الشعراء والكتاب)
- ٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (منفردات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيلتان)
- ١٨ نباتات الزينة العشبية (على باحدى وتسمين صورة فنية)
- ١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جيم المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور للصرة بميدان ابراهيم باشا